جامعة عبد الرحمان ميرة **المقياس: نقد أدبي قديم**

كلية الآداب واللغات **مج1/ أ. شيبان سعيد**

قسم اللغة والأدب العربي

قضايا النقد عند حازم القرطاجني

1) مولده: من مواليد608هـ في بلدة قرطاجنة، شرق مدينة مرسية، جنوب شرق اسبانيا(الأندلس). "**انكب على العلوم الشرعية واللغوية منذ ضغره، كما درس أمهات الكتب، وكان حافظا للحديث وراويا للأخبار**"[1].

وكان حازم القرطاجني ذا ثقافة واسعة ، متعددة المشارب، ملمة بثقافات عصره (إسلامية، عربية، أندلسية)، فكان شاعرا مفوها (فصيحا)، وناقدا فذًا سلك طريقا لم يسلكه أحد قبله، من منطلق مفهومي تداخلت فيه العلوم المختلفة (الشعر، الفلسفة، المنطق، التراث النقدي واللغوي...) وبعد خروجه من الأندلس، استقر به المقام في مراكش في عهد الدولة الموحدية (1121-1269)، ثم تونس في عهد أبي زكريا الحفصي إلى أن وفته المنية عام (684هـ-1284م) بتونس.

عدّ كتابه "منهاج البلغاء وسراج الأدباء" من أمهات الكتب التراثية، إذ شكل علامة فارقة في التأليف النقدي المغاربي خصوصا والنقد العربي القديم عامة.

2) مفهوم الشعر عند حازم القرطاجني:

عدّ الشعر من المحاور الكبرى التي ركّز عليها حازم القرطاجني، محاولا طرح الأصول الحقة للصناعة الشعرية فيعرفه قائلا:" **الشعر كلام موزون، مختص في لسان العرب بزيادة التقفية، من شأنه أن يحبب إلى النفس ما قصد تحبيبُه إليها، ويكرّه ما**

[1]- عبد العزيز قليقلة، النقد الأدبي في المغرب العربي،ج1،ط1، الهيئة المصرية للكتاب، 1998، ص244.

قصد تكريهه، لتحمل بذلك على طلبه أو الهرب منه، بما يتضمن من حسن تخييل له"[2].

وهكذا ركز حازم على قضية التأثير في المتلقي، فهم لم يكتف بتعريف الشعر تعريفا لغويا عروضيا فحسب. فالتخييل أساس النظرية النقدية عند حازم القرطاجني، ويقصد بالتخييل: "**الأثر الذي يتركه العمل الشعري في نفس المتلقي، وما يترتّب عنه من سلوك**"[3]. أي أن التخييل إنشاء صورة أو صور في ذهن المتلقي، ترتبط بالنفس وتحركها سلبا أو إيجابا، لا يتحقق الشعر بدونه، ولهذا يصرح قائلا: "**فأفضل الشعر ما حسُنت محاكاته وهيأته، وقويت شهرته، وقامت غرابته**"[4].

فإذا كان الشعر قبيح الهيئة، واضح الكذب، خالي من الغرابة، فمن الأجدر ألا يُسمى شعرا، وإن كان موزونا ومقفى، لأن الشعر الجيد المؤثر في النفس، ينزاح عن المعتاد والمألوف، بحثا عن سمات تجديدية، تفاجئ المتلقي وتكسر أفق توقعه.

أ- أجود الشعر عند حازم القرطاجني:

- حسن المحاكاة والهيئة.
- قوة الشهرة أو الصدق.
- اختفاء الكذب.
- استعمال النادر والمستغرب وغير المعتاد من الألفاظ والعبارات.

ب- أردء الشعر عند حازم القرطاجني:

- قبيح المحاكاة والهيئة.

---

[2]- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب بن خوجة، ط3، الدار العربية للكتاب، تونس، 2008، ص63.

[3]- ألفت محمد كمال عبد العزيز، نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين، ط1، دار التنوير، بيروت-لبنان، 1989، ص123.

[4]- المرجع نفسه، ص.ن.

- واضح الكذب فلا يكون له أثر على النفس.
- الخلو من الغرابة، فلا تكون فيه عذوبة.

ملحوظة: جعل حازم القرطاجني من التخييل وسيلة للتواصل بين الشاعر والمتلقي وهو: "أن يتمثّل للسامع من لفظ الشاعر المُخيل أو معانيه أو أسلوبه، وتقوم في خياله صورة أو صور ينفعل لتخيّلها شيء آخر بها انفعالا من غير روية إلى جهة من الانبساط أو الانقباض"[5]. فالتخييل إذن، هو ما يثيره الخطاب الشعري في المتلقي بواسطة المعاني والأسلوب والصور، فتجعله ينفعل ويتفاعل إيجابيا أو سلبيا (الاستجابة التخييلية للقصيدة). وأفضل التخييل عند حازم القرطاجني، ما يكون له تأثير في نفس المتلقي، مما يجعله يتفاعل فرحا أو حزنا، وهنا تتجلى شعرية الخطاب الأدبي أو جماليته.

3) قضية الصدق والكذب في الشعر:

يرى حازم القرطاجني أن الكذب الأخلاقي في الشعر لا يُعد عيبًا لأن النفس تتقبله، أما الكذب الذي يعد عيبًا في الشعر هو الكذب المفرط المبالغ فيه. والمقصود بوضوح الكذب في الشعر عند القرطاجني، الإفراط في التخييل والخروج إلى الامتناع والاستحالة مثل: تركيب يد أسد على رجل، فهذا ممتنع لا يقع في الوجود، ولو كان متصورا في الذهن. أما المستحيل، فهو لا يصح وقوعه في وجود ولا تصوره في ذهن، ككون الإنسان قائمًا وقاعدًا في حال واحدة. ويرى حازم أن الشاعر الحاذق، هو القادر على ترويج الكذب الفني بواسطة التخييل والاحتيال على المتلقي، من خلال المعاني اللطيفة التي يضفيها الشاعر من خلال إعادة تشكيل معطيات الواقع تشكيلا جماليا مؤثرًا.

4) قضية التناسب بين الأغراض الشعرية والأوزان:

[5]– حازم القرطاجني، منهاج البلغاء، ص98.

يرى حازم القرطاجني أن هناك تناسبا بين الأغراض الشعرية والأوزان قائلا:"ولما كانت أغراض شتّى، وكان منها ما يُقصد به الجدّ والرصانة، وما يُقصد به الهزل والرشاقة، ومنها ما يُقصد به البهاء والتفخيم...وُجب أن تحاكي بما يناسبها من الأوزان ويخيّلها للنفوس"[6]. وعليه فالأغراض الشعرية لا تأتي عبثًا، وإنما هي خاضعة للوزن الشعري. ويرى حازم أن الشاعر إذا قصد الفخر حاكى غرضه بالأوزان الفخمة الباهية والرصينة(الطويل، البسيط، الخفيف) وإذا قصد غرضا هزليا أو استخفافيا ، حاكى ذلك بما يناسبه من الأوزان الطائشة القليلة البهاء(الرمل،المتقارب،المتدارك...).

5) مطلع القصيدة أو الاستهلال:

أولى حازم القرطاجني أهمية لاستهلال القصيدة أو مطلعها، ذلك أن المطلع أو الاستهلال هو أول ما يسترعي اهتمام المتلقي، ولذلك وُجب على الشاعر الاهتمام بتحسينها حتى تكون مُمهدة ودالة على موضوع القصيدة، فمطالع القصائد هي "**أول ما يقرع السمع، فهي رائد ما بعدها إلى القلب، فإذا قبلتها النفس تحركت لقبول ما بعدها**"[7].

ولعل هذا ما جعل الشعراء يعتنون بالأطلال ومطالع القصائد، لكونها تعبير عن أحاسيس صادقة قريبة إلى أنفسهم. فجودة المطلع أو الاستهلال عند حازم تشمل الألفاظ وما يُستحسن فيها، والمعاني الحلوة، والأسلوب المحكم البنية. ومن المطالع الجيدة التي جمعت عذوبة اللفظ وحلاوة المعنى، وكانت ذات صلة بأحوال النفس، قول المتنبي:

أتراها لكثرة العشاق ... تحسب الدّمع خلقة في المآقي

[6]– حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص266.

[7]– المصدر نفسه، ص.ن.

خلاصة: يمكن القول إن حازم القرطاجني تعامل مع القضايا النقدية في إطار نظرة شمولية تداخلت فيها عناصر كثيرة كالتخييل والمحاكاة والأوزان والمطالع والأسلوب...فكانت للكثير من الأفكار التي طرحها مصب في الدراسات النقدية المعاصرة خصوصا المسائل التالية:

- آليات التفاعل بين النص والمتلقي.
- علاقة المتلقي بمقاصد المؤلف.
- مراعاة سياق وحال المخاطَب.
- المتعة الجمالية والتلذذ الأدبي الذي لا يحصلُ إلا بالتخييل المشبع بالإغراب والتعجيب.